فضل الصحابة

عباد الله، خلق الله سبحانه الكون، خلق السماوات والأرض وما بينهما، خلق الملائكة والجن والإنس ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا الرسل، وكانت وصية الرسول ﷺ للناس: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[النحل: ٣٦]، وقال تعالى:﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: ٦٥]، وقال سبحانه مصرحًا بحكمته من خلق الخلق قائلًا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

ولكن، كيف يعبدونه سبحانه؟ لذلك أرسل الرسل؛ ليبينوا لنا كيف نعبد المولى سبحانه وتعالى، وختم سبحانه الرسالات برسالة المصطفى ﷺ، وجعلها رسالة خاتمة إلى نهاية الدهر، وأوجب علينا العبادة، ومقتضى هذه العبادة هو توحيد رب الأرض والسماء.

والعبادة هي: اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فأنزل الله القرآن والسنة، وبيّن لنا كيف نعبده في شتى مناحي الحياة.

ففي التوحيد، نعبده بأن نوحده ولا نشرك به شيئا، قال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، وهو سبحانه وتعالى واحد في أفعاله، قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[البروج: ١٦]، ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[الروم: ١٩].

علمنا سبحانه كيف نوحده في العبادة فقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وعلمنا سبحانه أركان الإيمان، وهي: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره.

وبيَّن لنا رسوله ﷺ كيفية عبادة الله سبحانه بفعل أمهات الفرائض: (**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى**

خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[1].

وعلمنا رسوله ﷺ كيف تقسم الغنائم في الجهاد.

وفي البيوع، قال جل شأنه: ﴿**وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ**﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال الرسول ﷺ: (**لَا يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ**)[2]، وقال ﷺ: (**لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ**)[3]، وقال ﷺ أيضًا: (**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**)[4].

وفي النكاح، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١**﴾ [الروم: ٢١]، فبيّن لنا الله سبحانه وتعالى كيف يكون النكاح، وشرع الخطبة، والعقد، والطلاق، والخلع، والتعدد.

كذلك يبين الله لنا العبادة في الجنايات كيف تكون، فقد شرع الله في الجنايات تشريعا عظيما لنتعبد إليه به، وفي من دقائق التفاصيل ما فيه، فمثلا لو قتل أحد أحدًا، أو اغتصب ماله فسرقه، أو كسر عظمه، أو جرحه، وماذا لو كان الجرح في اللحم، وماذا لو وصل الجرح إلى العظم وكسره، وماذا لو نقل العظم، وماذا لو قطع له رجلًا، وماذا لو قطع له أصبعًا، كل ذلك شرعه الله سبحانه وتعالى وأكثر من ذلك لنتبعد إلى الله سبحانه وتعالى، فتنصلح دنيانا وآخرتنا.

ثم يبين لنا سبحانه كيف نعبده في التعامل مع الأبوين، والجيران، والمسلمين.

كذلك يبين سبحانه وتعالى لنا الحدود؛ حد الزنا، حد القتل، حد السرقة، وحد شرب الخمر، حتى نتجنب الوقوع في هذه الموبقات.

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٨)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦).

[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢١٤٠)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٤١٢).

[3] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (١٢٣٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (١٢٣٢).

[4] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٠٧٩)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٥٣٢).

كذلك يبين لنا سبحانه وتعالى في القرآن والسنة كيف نتبعد إليه سبحانه إذا بغى قوم على قوم.

ويبين الله سبحانه وتعالى كيف يكون القضاء لنعبده بحكمه سبحانه وتعالى، والقضاء في كل أمور الحياة يكون على وفق نهج الشرع الحنيف، فكل تخاصم بين اثنين في تجارة، في إجارة، في بيع وشراء، في جناية، في أي شيء، فكل ذلك له حكمه في شرع الله تعالى، قال ﷺ: (**الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**)[1].

وبين الشرع كيف تكون البينة من شهود أو اعتراف، وكم عدد الشهود ومتى يكونون ذكورًا ومتى يكن إناثًا، وما إلى ذلك من أمور القضاء.

وألزمنا الله تعالى أن نتحاكم فيما بيننا بحكمه، فقال: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾[الأنعام: ٥٧]، هذا هو الأمر باختصار، وببساطة، وبوضوح، لا أحد يستطيع أن ينكره أو يردّه، إذ إنه سوف يكون معنى كلامه: أقول لا للقرآن.

كيف بمسلم مؤمن بالله تعالى يرفض أن يطبق شرع الله تعالى الخالق ويستبدله بشرائع وضعها مخلوقون من غير المسلمين.

فالله يريد أن نتحاكم أفرادًا وجماعات، دولًا وقارات، معاملات داخلية وخارجية على حسب شرعه، وهذا الذي يريده الله تعالى من عباده المؤمنين هو عين الذي لا يريده أعداء الدين من الكفار، والملحدين، والمنافقين، والعلمانيين، والليبراليين، والغافلين، والجاهلين، والمغيبين، والمضللين.

الذي يتبع الأحداث الجارية أو التي مضت أو التي تأتي يجد تطبيق هذه الآية بصورة أو بأخرى، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ⑧**﴾[الصف: ٨]، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**

[1] أخرجه البيهقي رحمه الله في سننه (٣٣٨٦)، وصححه الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (٢٦٨٥).

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

المتدبر للأحداث حوله، أو فيما سبق، أو فيما يلحق، يجد أن الحرب كلها لا أقول: على المسلمين، بل ولا على الإسلام، بل على تطبيق الإسلام، فاليهود والأمريكان والكفار عمومًا لا يريدون منك أن تكون غير مسلم، بل كن مسلمًا كما شئت، ولكن طبق دينك كما يشاؤون؛ هذه هي القاعدة، وانظر تجد كل من حولك في هذا المضمار.

إن هؤلاء يعلمون جيدًا ما هي قيمة مصر، مصر عباد الله لها قيمة عظيمة في الإسلام وفي شريعة الرحمن، فهي مركز ثقل العالم الإسلامي، ولهذا تجد المؤامرات، والمكر، والدهاء، والخيانة كلها موجهة إلى مصر.

ثم لو استرجعت التاريخ؛ لوجدت أنه ولابد أن يكون للإسلام دولة تحكم البلاد والعباد، وبإذن الله الواحد الأحد ستعود دولة الإسلام رغمًا عن أنوف هؤلاء الحاقدين، يقول رسول الله ﷺ: **(تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ)**[1]، ولهذا تجد أن كلمة الخلافة الإسلامية كلمة ترعب هؤلاء الحاقدين والغافلين توارثوا كرهها جيلًا بعد جيل، فلو استمعت إلى أقوالهم؛ لقلت: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣].

والخلافة الإسلامية هي أن يحكم المسلمين على اختلاف دولهم خليفة واحد يكون فيه من الدين، والعلم، والخبرة، والحنكة، والإدارة، فيقيم بهذه الأدوات شريعة رب الأرض والسماوات.

[1] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (١٨٤٠٦)، وحسن إسناده الألباني رحمه الله مشكاة المصابيح (٥٣٠٦).

فالخوف كل الخوف من هؤلاء أن يطبق شرع الله في بلد ثم تنتقل من بلد إلى آخر فتكون خلافة، وبالتالي يكون ذلك نهاية الكفر والطغيان، ونهاية مذلة المسلمين، ولهذا فهؤلاء فهموا ذلك جيدًا قديمًا.

عباد الله هذه نبذة مختصرة أود أن أوضح فيها أن التاريخ يتكرر، فإننا لم نختلف في أقدارنا بقدر ما اتفاقنا، فما أشبه الليلة بالبارحة.

وهنا أود أن أبين أن هؤلاء، وأذنابهم، ورؤساءهم، يريدون أن يحُولوا بين الخلافة وتطبيق الشريعة وبين البلاد والعباد، فنراهم يضربون أحيانًا في الثوابت على مر العصور، وأحيانًا يهدمون الخلافة على مر العصور، وأحيانًا يكون سلاحهم هو الغزو المادي والفكري على مر العصور.

ومن هذا المكر ما يكيلونه للصحابة رضي الله عنهم منذ عصور ويهدمون في الصحابة عصرًا بعد عصر، والآن لا تتعجب عندما تجد أن صحفيًا تافهًا يتكلم في حق صحابي وينتقضه.

والسؤال الآن: ما الضرر أن يتكلموا عن الصحابة؟

بداية، الصحابة رضي الله عنهم هؤلاء هم الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ ذلك لأنهم سوف يحملون الدين إلى شتى البقاع مع مر العصور إلى يوم القيامة، فالبداية من الصحابة رضي الله عنهم، فلو شككوا في الصحابة وهدموا هذا الجانب؛ فقد انهدم الدين على الحقيقة.